

المسرح الجامعي.. حضور إسمي وغياب مدو ثقافيا وتنمويا أدار الندوة وأعدّها: جمال عياد



أقامت «الرأي» على هامش مهرجان مسرح فيلادلفيا للمسرح الجامعي العربي، في دورته التاسعة، ندوة حول المسرح الجامعي العربي، أعدّها وأدارها الزميل جمال عياد، وبحضور البحرينية كلثوم أمين، واللبنانية د. جنى الحسن، من الجامعة اللبنانية، والسوري

هاشم سلمان غزال، من جامعة تشرين، وسعيد سعادة من جامعة النجاح الفلسطينية، وبلال الشerman من جامعة فيلادلفيا الأردنية، عاينت واقع المسرح، في الجامعات العربية، لجهة تقبل الطلاب لهذا الحقل، ودور الكفاءات وإدارات الجامعات نفسها، وما هو دور المسرح فيها في توجيه الشباب ثقافيا، وخصوصا انه مع تطور التقنية، أصبح الطلبة يستبدلون القراءة، بالنص السمعي المرئي من خلال المسرحية، أو المادة الفيلمية، فضلا عن ربط الحالة الثقافية بالهوية التي ينتمي إليها الطالب إنسانيا، وما هو دور المشرف الفني، في توجيه الطالب الناشئ، وهل المسرح قادر على إنشاء جيل جديد يسهم في الحركة المسرحية.

الجامعات لا تهتم كثيرا بالمسرح

د. جنى الحسن:

اللبنانية د. جنى الحسن، أريد التحدث عن التجربة اللبنانية، عن تجربته عايشتها، في السابق وكان الطابع الأدبي يحضر بقوة، بينما الآن تحضر مسألة التواصل مع النص السمعي المرئي، وهي تجربة جديدة، بحيث غدا المرء يطلع على شكسبير من خلال عمل فني متكامل، دون الرجوع إلى النص الكتابي، وهذا برأني غير كاف، لخلق مسرحي مثقف، فتبقى مسألة تنمية القراءة، حاجة ملحة للطلاب، فضلا عن المعرفة، لا بد من أن يكون هذا الطالب على قدرة لممارسة الكتابة السليمة، فمع الأسف الشديد يجيء الطلاب بالبحث خاصته، منسوخا بالكامل عن الإنترنت، حتى أنه لا يقوم بتفقيحه، ولكن السخرية المريرة، تجيء عند مناقشته حول أخطائه، فيقول أنه لا يملك الوقت الكافي لتصحيح ما نسخه من الإنترنت؟ وتحدثت عن دور الإشراف الجامعي في تطوير الطلبة، فقالت أنا كمشرفة أحاول أن أعطي الطالب كل الإمكانيات ليعبر عما يجول في ذهنه، ومتجاوزين أثناء العمل العوائق أنفسيه والجسدية، كما وأنه من الضرورة أن أراجع سنويا سوية أدائي على مدار العام مع الطلبة. ونوهت بحدوثها عن الغياب الحاد في أغلب أنظمة الجامعات بالاهتمام بالمسرح بشكل خاص و الفن و الثقافة بشكل عام، وتابعت تقول، ولهذا السبب لم أرغب في الحديث عن الهوية، لأننا أبعد ما نكون عن الهوية، ولا يوجد شيء اسمه هم ولكن يوجد نحن، فنحن المسؤولون عن فتح آفاق للطلبة لإنشاء شخصية قوية وكاريزمية، ليعبروا إلى مستقبلهم بقوة، واعتقد أن الجامعات الخاصة وليس الوطنية في لبنان هي التي عندها الإمكانيات لتحقيق هذا المبتغى. وأكدت د. الحسن على أهمية الورش

المسرحية، فتحدثت عن تجاربها في هذا المضمار، وخصوصا حول إنشاء ورش عمل في العام 2006، أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان، حيث اشتغلت مع مجاميع من اللاجئين، من خلال استيعابهم في مدارس الثانويات في بيروت، وتناول هذه الورشات عناوين: كوميديا ديلاوتي، ومن المسرح الشعبي العرائس والدمى، استطعنا من خلالها القضاء على القلق الداخلي.

الاهتمام بالمسرح ينطلق من المدرسة كلثوم أمين البحرين

بدأت حديثها موضحة عن التجربة البحرينية، فقالت: أريد أن ارجع بها وأعود بها إلى ما قبل الجامعة لان بناء طالب يعشق المسرح في الجامعة، مبنية على طفولته والمدارس التي درس فيها في الابتدائي والثانوية، لجهة وجود المتخصصين ثقافيا في المسرح. بينما جاء واقع الحال أن المسرح أصبح عبارة عن أنشطة تقام لمناسبات فقط، وبالتالي أصبح هذا الطالب يعرف المسرح كنوع من أداء الواجب المدرسي عن طريق النشاط، وبعد أن ينتقل إلى الجامعة فيصبح النشاط المسرحي نشاطا يلزمه بعمل إبداعي، وبالتالي خلق جيل يصعد إلى الجامعة قد يحب المسرح ويعشق المسرح ولكن لا يعرف ما هو المسرح، ولا يعرف كيف يقف ويلقي الكلمة ثم يتزل عن الخشبة. يأتي إلى الجامعة والأمر يتكرر للأسف، ذلك انه ليس لدينا المتخصصين في مجال المسرح حاليا، وهنالك مشرف مسرحي في كل جامعة منهم من درس المسرح، ومنهم من لم يدرس، فالمسرح الجامعي لا يعتبر شيئا أساسيا في البرنامج والمنهج الدراسي الأكاديمي، ليس لدينا معهد للمسرح في البحرين، كل ما لدينا هي سنوات يقضيها الطالب أربع سنوات في الجامعة يقدم أو لا يقدم فيها نشاط مسرحي.

بالنسبة لي أنا كتجربة في البحرين، وعلاقتي بالطالب المسرحي الجامعي، تجيء خارج الجامعة، عن طريق الورشة الدائمة لتأهيل الممثل، حيث يأتي العديد من هؤلاء الطلبة الذين لا يملكون ورش مسرحية في جامعتهم لتلقي التدريب في الورشة الدائمة لتأهيل الممثل، وهنا أصبح الطالب الجامعي لديه نوعا ما من الثقافة المسرحية، عن طريق غير مباشر، خارج جامعاتهم، لان النشاط الجامعي يعتمد على أعمال مسرحية تقام، وأضفت ونحن في نفس الوقت ليس لدينا مهرجانات، رغم انه سوف يقام هذا العام، مهرجان واحد بعد عدة اشهر، لكن هل هنالك تأسيس له، والإجابة لا اعتقد، وقد سبق وأن طلبت ميني إدارة قسم الدراسات الفرنسية لجامعة البحرين عمل مسرحية اسمها جلعامش باللغة الفرنسية، وكانت المخرجة ليست متخصصة في المسرح ولم تدرس المسرح بل هي أمينة مكتبه، ودربت على الإخراج المسرحي وباللغة الفرنسية، فكيف يحدث هذا المخرج يقدم باللغة الفرنسية ولم يتكلم اللغة الفرنسية؟ وبينت فالإشكالية هنا، إذا أساء الطالب التصرف، أو التعامل مع المسرح، فهذا ليس ذنبه لأنه لم يتأسس من مرحلة الابتدائية والثانوية و الجامعة، وكان تأسيسه والمشرف عليه هو الأساس في انه لا يمتلك الإبداع، فغالبية الطلبة الجامعيين العاشقين للمسرح يخرجون خارج الجامعة لتقديم أعمالهم للمشاركة مع فرق أخرى للتدريب في أماكن أخرى، بينما المسرح الجامعي يمتلك برنامجا، كناشط مسرحي ضمن إشراف مدرب قد درس المسرح لكن النشاط محدود، وضعيف

المسرح ينشر ثقافته بشكل اكبر

هاشم سلمان غزال سوري

وقال المخرج السوري إن الحالة الأساسية في المسرح الجامعي، وفي كل الوطن العربي، تعتمد على مجموعة من الطلبة سواء كانوا يدرسون في أكاديميات الفنون أو في كليات الجامعة التطبيقية، وإذا لم يكن المسرح قادراً على نشر الحالة الثقافية بين هؤلاء، فلا داعي لوجوده أساساً، المسرح برأبي يقوم أساساً على نشر ثقافة، تنشُد تربية فنية أو اجتماعية لهؤلاء الطلاب أو للمجتمع بشكل عام، والممثل التلفزيوني والمسرحي بشكل خاص يعتمد على مختزن ثقافي، وإذا لم يكن لديه هذا المخزون الثقافي فهو غير قادر على أداء مجموعه كبيرة من الشخصيات المسرحية، إذن يجب على المشرف الفني خلق حالة من الثقافة العامة، فهو عبارة عن ذاكرة، الممثل هو عبارة عن ذاكرة يجزّن فيها كل ما يراه، وما يسمعه ويقرأه، وهذه القراءات أو هذه الرؤيا أو هذه الأمور التي يسمعاها، هي عبارة عن حالات إنسانية يعيشها هذا الطالب أو هذا الإنسان وعندما يطلب منه أن يؤدي شخصية معينة يستحضر من ذاكرته هذا الموضوع الذي مر من خلال حياته، وأويد الدكتور جنى في مسألة ضرورة قرب هذا المشرف من هؤلاء الطلاب، وعدم وضع حاجز بينه وبينهم، أي يقوم في كل شيء في سبيل إنشاء حالة من الانسجام بين الطلاب.

و المسرح الجامعي في سوريا، يختص فقط في الكليات التطبيقية، بينما معهد الفنون المسرحية بشكل أو بآخر لا يشارك في المهرجانات الجامعي المحلي على الأقل، وله مشاركات قد تكون نادرة جداً، في المشاركات العربية، كمسرح جامعي يشارك باسم المعهد العالي للفنون المسرحية، نحن في المسرح الجامعي ننشد إقامة ورشات عمل مستمرة ونعتمد على أكاديميين و متخصصين في جميع المجالات سواء التلفزيونية أو الرقص أو في كل هذه المجالات، وهذه هي المسألة. وبشكل عام أرى أن المسرح الجامعي يعتمد على أشخاص، وليس على مؤسسات وهذه حاله سيئة جداً في المسرح الجامعي، أن تعتمد على أشخاص وعندما يذهب هؤلاء الأشخاص يقف المشروع، ولا يوجد آلية لخلق حاله مؤسسية، تقوم على أسس وأنظمة نستطيع من خلالها أن نقوم بخلق حالة مسرحية جامعية واعية نستطيع أن تؤثر في الحالة الاجتماعية من خلال خلق ثقافات محده.

لا مسرح جامعي في فلسطين

سعيد سعادة

أما الفلسطيني سعيد سعادة فأعلن حزنه على واقع الطلبة في الجامعات العربية وتابع يقول: لأنه لا يتجذر فيها حالة مسرحية غير فاعله، وإذا كان هذا هو الحال في الجامعات العربية، فماذا نقول نحن في فلسطين؟ عن جامعاتنا، حقيقة نحن في فلسطين لا يوجد لدينا أي مسرح جامعي، فلا توجد كليه من كليات الفنون عندنا تدرس مسرح، وربما هناك تباشير حيال هذه المسألة، تقدم من خلالها مساق واحد في الفن المسرحي وفي تاريخ المسرح، لأنه لا يوجد أي شيء متعلق في عناصر المسرح حتى الآن، ولقد بادرت أنا شخصياً قبل ثلاث سنوات في جامعة النجاح الوطنية، بتوجيهات من رئيس الجامعة د. رامي حمدالله للعمل على إيجاد فرقه مسرحية في الجامعة، وأصبح لدينا منذ ثلاث سنوات أصبح لدينا بناء لمسرح، كما و اتفق ايضاً مع الدكتور جنى و كلثوم حول عدم وجود مسرح حقيقي يدرس في الجامعات العربية وخصوصاً في جامعاتنا في فلسطين.

وبلا شك أن المسؤول عن الحال المتواضع للمسرح الجامعي، هو الاحتلال، والذي يرى غير ذلك يكون لا يرى جيداً، كما و اتفق ايضاً مع كلثوم في قضية أن التأسيس يجب أن يبدأ من المدارس، وفي مدارسنا لا توجد مسابقات متعلقة بالفن المسرحي،

إلا في المرحلة النهائية الثانوية، وكذلك في الجامعة لا يوجد غير كلية فنون تدرس جغرافيك، ومواضيع عن الموسيقى، و ارتكازنا نحن في فلسطين يتجه عبر فرق هاوية، خارج أطار الجامعات، حتى أن هنالك مفهوم المسرح يتصف بالتهريج، أو للضحك وليس للتفكير، والتثقيف.

وحاليا تعتبر جامعة بير زيت متقدمة في هذا المجال، فتقدم النشاطات من خلال عمادة الطلبة، بينما في جامعة الخليل عندما تصعد الفتاة على المسرح، فإن ذلك يعد إشكالا اجتماعيا، فضلا عن غياب البنية التحتية للمسرح في بعض المحافظات عندنا كمباني وأمكنه وهذا المعطى مهم جدا، حيث لا يوجد توعيه مسرحيه وهذا يقع على عاتق الفنانين في الدرجة الأولى وعلى عاتق وزارة الثقافة في الدرجة الثانية مع العلم بان هنالك دوائر المسرح في وزارة الثقافة، تهتم بشؤون المسرح، فيوجد عروض وطلاب جامعيين يخرجون من الجامعة، ويعملون في فرق خارجها.

أما المسرح فله مفهومه الواسع وهذا المفهوم غير موجود عندنا لعدة أسباب أولاها الاحتلال كما ذكرت، وعدم وجود وعي لدور المسرح في التنوير، وبهذا الصدد قمت بالمطالبة عبر أكثر من اجتماع بالمستولين في وزارة الثقافة، بتفعيل المسرح في المدارس، بان يكون هنالك مساق كامل يدرس فيها، وأن يبدأ الطالب بدراسته. وتحدث عن تجربته التي أكدت على أن يكون ما بين الأستاذ والمدرّب علاقة دافئة.

المسرح خرج جيل المسؤولية

بلال الشرممان الأردن

وتحدث المخرج الأردني بلال الشرممان، قائلا: أريد بداية التحدث عن السؤال الذي طرحه مدير الندوة، وهو هل المسرح قادر على خلق جيل جديد يسهم في الحركة المسرحية، وتعزيز الهوية الوطنية، أقول إن المسرح هو الأساس في الإسهام حركة ثقافية فاعلة، عند كل الأجيال، وإذا غاب، فلن نجد هنالك أي جيل يعي أي درجه من المسؤولية، وحتى على مستوى المسؤولية الفكرية، و الهوية الوطنية، فهو الوحيد القادر على خلق هذا الجيل، الذي من الممكن أن يوصل خطابا ناقدا، ولكن عند التعامل مع الطلاب، تجدهم لا يعرفون عن المسرح سوى المدرسي منه، ولكن نحن هنا، نتحدث عن عمادات شؤون الطلبة، لا نتحدث عن الكليات، رغم أنه الآن لكل جامعة وضعها الخاص.

ولكن أغلب مشرفي مسرح الجامعات في عمادات شؤون الطلبة، بنسبة تقارب الـ 80% ليسوا من المخرجين، المشرف في الجامعات غير المختصة، لا يستطيع أن يقوم بمهنته كمتخصص، لوجود أكثر من عائق، ولكن نحن المشرفين، وبقدر المستطاع نحاول لان نصل إلى نظام نطبقه على الطلاب، ابتداء من نشر إعلان في الجامعة، لعمل ورشة مسرحية، أو نريد إنشاء فرقة مسرحية لتستمر على مدار أربع سنوات، فنختار من طلاب السنة الأولى، لأنه إذا أردت أن تدرّب طالب هاوي في سنة واحدة على سبيل المثال، لا تكفي حتى تعلمه كيف يحترم خشبة المسرح، وأنا كنت دائما أدرّب طلابي الذين لا يتجاوز عددهم عن خمسة طلاب احترام فضاء الخشبة، فنحن نحاول قدر المستطاع أن ننمي فيهم شعور المسؤولية تجاه المسرح.

ومضى يتحدث عن تجربته، بأن الشيء الذي استطعت أن أهيئه عند طلابي، هو احترام المواعيد، فهناك طلاب سنه ثانية إدارة أعمال لا يعرفون عن الالتزام أكثر من أن يدخلوا إلى المحاضرة بعد بدايتها بعشرة دقائق، فأنت منذ البداية يجب أن تعلمه بأن يكون موجودا قبل البروفة بنصف ساعة على الأقل، فضلا عن كتابته تقريرا عنها بعد انتهائها، وأن يعرف المنهج الذي يشتغل عليه، وأن يبحث ويلم به ، لذلك ترى طلاب المسرح في العمادات أو الجامعات، التي لا تحوي تخصصا مسرحيا يكونوا مميزين، وهذا ما لمسناه من مجتمع الجامعة، وخصوصا بعد إنجاز عمل مسرحي، وأكد في حديثه بأن الطالب في العمادات يجب أن يهتم به من جميع النواحي التقنية والفكرية والثقافية والفنية لان جامعاتنا، لا تهتم بالجوانب الفكرية أبدا على الإطلاق،

حيث يعطى الكورس كماده تخصص بعيدا عن الجوانب الثقافية في الجامعات، وفي غير المختصة يغيب نهائيا عنها شيء اسمه المسرح.

وفي نهاية الندوة، التي أجمع المشاركون فيها، على أهمية التجارب المسرحية الجامعية المختلفة، في رقد مدخلات الحراك المسرحي العربي، طرح المشاركون التوصيات التالية للنهوض بالمسرح الجامعي.

فقال الشerman: لا بد من إيجاد الشخص المتخصص في هذا الحقل الفني لينجز التعامل المهني مع الطالب، وكذلك إنشاء المختبر المسرحي، ويكون حضوره مثل قاعات الموسيقى، بحيث يقوم الطلاب بالتدريب، والعمل على إيجاد مساقات بسيطة تدرس ضمن المناهج الحرة التي تدرس في الجامعات مثل العلوم العسكرية، هذه بالنسبة إلى الجامعات لكن كل هذا لا ينسبنا المدرسة، حيث لا بد من الاشتغال المبكر للتعرف على المسرح، والتأكيد على التخصص، أي أن يكون المشرف المسرحي متخصص في الإشراف المسرحي.

وأثنى غزال على توصيات بلال، مضيفا وأتمنى أن يكون هناك غرف، وورش للفن المسرحي مثل غرف الورش الدائمة، وان يكون أيضا الاهتمام أيضا من قبل الحكومة نفسها تجاه الجامعات والمدارس، لجهة الفن المسرحي، ولا بد من تعميق تتابع دورات مهرجانات المسرح الجامعية العربية.

واعتبر سعادة بأن أي إنجاز للمسرح الجامعي العربي في النهاية يدعمننا، وإن كان غير مباشر هذا الدعم في تجليه على أرض الواقع، وتابع يقول وقد تفاعلنا مع الوفود في هذا المهرجان، وكذلك مع الفرق المسرحية في جميع أنحاء الوطن العربي، ولكن نحن نفتقر إلى وجود الجامعات والمعاهد في فلسطين، كما ولا يوجد مهرجانات داخلية إلا منذ سنتين أو ثلاث أقيم في مدينة رام الله مهرجان للسينما وآخر للمسرح، ودعا في هذا المقام إلى تواصل المسرحيين العرب مهرجانيا، لان مثل هذه اللقاءات، تعد حاله جيده وتعطي مؤشرات جميلة لخلق مسرح عربي، مهتم في القضايا الوطنية ككل، كما دعا في هذا الصدد إلى خلق مؤسسة ثقافية مسرحية في كل جامعة من الجامعات العربية، تقوم على أسس وأنظمة وقوانين، كما أن إيجاد شبكة مسرح عربية يتم من خلالها التواصل، لإنشاء حاله من التفاعل والتواصل بين هذه الجامعات تعد مسألة ملحة لإيجاد آليات عمل كثيرة متطورة في مجال المسرح.

وأكدت كلثوم أمين بأن النشاط المسرحي في الجامعة، بالضرورة لا يجوز تقييده بقوانين تشتت أنشطة هؤلاء الشباب، وتضع القيود على نوع الإبداع، الذي من الممكن أن يقدمه خاصة في مجتمعاتنا الحالية، التي أصبحت للمعتقدات السياسية والفكرية والدينية الكثير من الضغوط على المناهج الدراسية، فمنح الطالب مساحة من الحرية يعطيه الثقة بالنفس، وعلى الإدارة أن تقبل وجود منهج مسرحي في الجامعات، وان يخصص له من ميزانية الجامعة لان كل الأنشطة المسرحية تتطلب ميزانية، وهنا نستطيع أن نلجأ إلى أمور أخرى أن نعقد اتفاقية مع الفرق المسرحية التي تكون خارج أطار الجامعة، بهدف جلب المتخصص في المسرح لإلقاء المحاضرات، ولعمل ورش لا تحتاج إلى الأموال، ومن الممكن أن نتفق مع وزارات الثقافة في حال وجود فرقه مستضافة.

وبينت د.الحسن بأن شباب اليوم غير مقتنعين، بأنظمة الجامعات الخاصة بالتعامل المسرحي، لذلك سوف أتحدث عن ما يورق الطلبة دائما، وخصوصا أنهم ينظرون لنا بأننا لم نقدم لهم بعد ما وعدناهم به، ومن جهة أخرى قبل أن نتحدث عن التخصص في الجامعة، لا بد قبل ذلك أن نوهل أقسام من الطلاب الذين لديهم تجارب معينة، ولا بد من أخذ جميع الجوانب العملية في تأسيس المسرح الجامعي وبظروفها الاجتماعية والثقافية والنفسية للطلاب والأساتذة، ولكنها أكدت بأن المشكلة تكمن في غياب التراكم الخاص بتحقيق الخبرة في هذا الجانب.

